معاهدة السلام والصداقة
بين الجزائر والولايات المتحدة سنة 1795

معاهدة السلام والصداقة
بين الجزائر والولايات المتحدة سنة 1795

علي تابليت
معهد الترجمة
جامعة الجزائر

تعود العلاقات الجزائرية الامريكية الى ماقبل سنة 1690 وليس الى سنة 1785 كما هو سائد، وهو تاريخ استيلاء الجزائر على سفينيتين امريكيتين هما ماري Mary و دوفين Dauphin وقد بدأت هذه العلاقات بالاتصالات عن طريق ممثلي أمريكا في اوروبا (باريس، لندن، مدريد، لشبونة، ومرسيليا). التي قرر الكونجرس بعد فشلها ارسال مبعوث رسمي يمثل الكونجرس في الجزائر، وهو الضابط جون لامب John Lamb الذي سبق له وأن زار الجزائر وعين بمعيته، السيد ب . ر . راندال .Randal P.R كاتبا له .

وصل لامب الجزائر يوم 25 مارس 1786 ، قادما اليها من لشبونة التي حل بها يوم 16 فيفري 1786 ، عن طريق باريس التي وصلها في شهر سبتمبر 1785 ، مباشرة من واشنطن، وزود في برشلونة بمبلغ 500 . 3 جنيه استرليني لتغطية نفقاته الشخصية ومبلغ آخر 500 . 50 دولار لفدية الاسرى الامريكان في الجزائر.

لقد رفض الداي استقبال لامب في بداية الامر ثم عدل عن ذلك بعد عدة تدخلات، واثناء أقامة لامب القصيرة في الجزائر، عكف على كتابة تقارير أمر بأعدادها من طرف طوماس جيفرسون Thomas Jefferson بباريس. تتضمن معلومات عن الجزائر الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، ففي رسالة له الى جيفرسون تحدث عن واردات الجزائر وصادراتها من القمح والشعير، والفاصوليا والذرة والصوف، وشمع العسل والملابس المطرّزة . . . وتحدث أيضا عن الموانيء فذكر ميناء عنابة وبجاية وآرزيو بالاضافة الى ميناء الجزائر الذي قال عنه انه كان مجهزا بألف مدفع من عيار 24 / 36 . وتحدث عن البحرية الجزائرية وعدد سفنها ومدافعها وعن الاسرى واللغات المستعملة في الجزائر، ودواوين الحكومة والدين. وعرض طوماس باركلي Barclay Thomas المبعوث الامريكي لدى المغرب خدماته على جيفرسون، بالذهاب الى الباب العالي من اجل ابرام معاهدة سلام مع الجزائر، إن رأى في ذلك فائدة لبلاده، وكان المغرب وقتها يفرض على امريكا دفع جزية

سنوية قدرها 000 . 18 دولار لقاء سلام معها، في حين فرضت الجزائر 000 . 24 دولار. وفضل جيفرسون في رسالة بعث بها الى وزير خارجية فرنسا (الكونت دو فيرجين Vergennes charles gravier 1719 ـ 1787) . بتاريخ 23 ماي 1786، وقد سبق لفيرجين ان مثل بلاده كسفير لدى الباب العالي ما بين 1754 ـ 1786، عرف فيها الصعوبات التي تواجه أمريكا في علاقاتها مع الجزائر، وطلب منه رأيه في تكاليف ايفاد بعثة دبلوماسية الى الباب العالي ومدى تأثيرها على الجزائر، فرد عليه كتابيا، ان التكاليف ستكون باهضة الثمن، اضافة الى الهدايا المطلوبة. زد على ذلك ان الجزائر لا تعترف بما اتفق عليه في اسطمبول، والدليل على ذلك ان اسبانيا عقدت معاهدة سلام مع الباب العالي واضطرت الى شراء السلام مع الجزائر بمبلغ يفوق ستة ملايين جنيه، وتلقى جيفرسون رسالة من جون آدمز John Adams بلندن في 6 جوان 1786، يتساءل فيها عن كيفية ابرام معاهدة سلام مع الجزائر، هل تكون عن طريق الباب العالي ؟ أم بالاتصال المباشر مع الجزائر ؟ وهل تفوق تكاليف هذه المعاهدة 500 ألف جنيه استرليني ؟ وتساءل آدمز عن الاضرار التي ستلحق بأمريكا في حالة عدم ابرام مثل هذه المعاهدة.

بالاضافة الى 5 أو 8 ٪ من التأمين الاضافي على صادرات وواردات امريكا وخسارة تجارة البحر الابيض المتوسط والباب العالي. اضف الى ذلك فقدانها نصف تجارتها مع البرتغال واسبانيا، باعتبار ان تواجد الاسطول الجزائري على سواحل هذين البلدين يعد خطرا على السفن الامريكية، علاوة على ان الحرب مع الجزائر، حسب رأي آدمز ستكلف الخزينة الامريكية نصف مليون جنيه استرليني سنويا، هذا دون حسبان التأمينات، وحماية التجارة الامريكية وفي النهاية ستجد أمريكا نفسها مرغمة على التفاوض مع الجزائر. ويكلفها ذلك نفقات لم يدرجها جيفرسون في حساباته.

ومن ثم طلب آدمز استبعاد فكرة الحرب عن باله، وان يفضل السلم على الحرب وطلب من جيفرسون الاتصال ثانية بالوزير الفرنسي، لانه الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يمده بمعلومات حول الموضوع.
ووجه آدمز رسالة الى جون جي John Jay (1745 ـ 1829) .

(وهو من مواليد نيويورك، لعب دورا هاما في استقلال الولايات المتحدة، وترأس المحكمة العليا في الفترة الممتدة ما بين (1789 ـ 1795)، وفاوض على معاهدة رسم الحدود مع بريطانيا، عرفت باسم (معاهدة جي). كان جي يشغل منصب كاتب الدولة في هذه الفترة، في 5 جويلية 1786)، يوضح له فيها انه على الكونجرس ان يفرض رسوما اضافية على الملاحة والتجارة ومبالغ اخرى حتى يستطيع اقتراض مبالغ مالية لشراء السلام مع الجزائر، وهذا لدفع فوائد الاموال المقترضة من اوروبا، والا من الافضل استدعاء ممثلي الولايات المتحدة في الخارج.

كما بعث ريتشارد او بريان Richard O Brian (1758 ـ 14 فيفري 1786) رسالة من جهته الى جيفرسون في باريس بتاريخ 5 جوان 1786، يخبره فيها بوعد لامب، بفديتهم لكنه لا يملك

من المال سوى 3.300 دولار، مضيفا أن الدول الاوروبية (فرنسا، بريطانيا واسبانيا) تحسد امريكا على تجارتها في البحر المتوسط، لذلك فهي تضع مختلف العراقيل أمام التقارب الجزائري الامريكي.

ويستطرد اوبريان في رسالته «ان القنصل البريطاني هو الذي يعطي المعلومات للجزائر عن تحرك السفن الامريكية، وبالتالي فإن شركة التأمين البريطانية تعرف تماما الخطر الذي تتعرض له السفن الامريكية، ومن ثم ترفع قيمة التأمينات البحرية، كما أنه من مصلحة الانجليز التهويل بالاخطار، لان ذلك من مصلحتهم» ويعترف اوبريان «بأنه لا خطر على سفنهم التجارية، كما اعاب على جيفرسون كون امريكا تعمدت على ارسال لامب، الغريب في تصرفاته اثناء اقامته في الجزائر ممثلا لها، مبديا تعجبه من الكونجرس الذي كلف لامب بالتفاوض مع الجزائر في حين كان من الاجدر ارسال شخص مؤهل لهذه المهمة، كأن يكون رجل دولة وسياسي محترف. كما لام كل القناصل الاوروبيين في الجزائر، أمريكا، على تعيين هذا الشخص في هذه المهمة الصعبة. فهو يجهل اللغة ولا يوحي مظهره وتصرفاته بالمهمة التي جاء من اجلها، فقد هدد قنصل اسبانيا في الجزائر باستيلاء أمريكا على حصنين من حصون اسبانيا في المسيسيبي ان لم يساعده على ابرام معاهدة سلام مع الجزائر».

ولم يدفع المبالغ المالية التي انفقها السيد وولف على الاسرى الامريكيين، واقترض من الكونت دو اكسيبلي the count D'Expilly مبلغ 400 دولار دون ان يردها له، والخلاصة انه ذهب من الجزائر تاركا وراءه ديونا وتصرفات تسيء الى سمعة الجمهورية الجديدة، الامر الذي دفع بكاتبه، راندال، الى السفر قبل لامب وذلك في 29 مارس 1786.

أما جيفرسون فيبدو من خلال مراسلاته أنه يحبذ الحرب على السلام مع الجزائر مطالبا بلاده بانشاء اسطول أمريكي لحماية تجارة الولايات المتحدة في البحر المتوسط، لان شرف أمريكا حسب رأيه يتمثل في قوتها البحرية، وفي هذا الصدد قال جورج واشنطن، بتاريخ 8 جانفي 1790 «ان الاستعداد للحرب يعد انجع وسيلة للحفاظ على السلام» وقال جون آدمز في هذا الموضوع وبالتحديد يوم 16 ماي 1797، «ان القوة البحرية هي الدفاع الطبيعي للولايات المتحدة»، وينطلق جيفرسون في تحبيذه للحرب مع الجزائر من حادثة ولى زمانها وظرفها وهي حصار ميناء الجزائر بخمس سفن فرنسية لمدة معينة، دون الاخذ بعين الاعتبار قوة الاسطول الجزائري التي كانت تزداد سنة بعد أخرى، وبالتالي فان امريكا - في رأيه قادرة على ذلك، وحث جيفرسون لا فاييت La Fayette (1757 - 1834)، على مساعدته بل على قيادة حملة ضد الجزائر، كما اعد جيفرسون مشروع حلف يتكون من معظم الدول الاوروبية، حرر بثلاث لغات (الانجليزية والفرنسية والايطالية) وزعت نسخ منه على السلك الدبلوماسي المعتمد في فرساي، فوافقت كل من البرتغال ونابولي وصقلية والبندقية ومالطا والدانمارك والسويد على الانضمام الى هذا الحلف.

ابلغ جيفرسون الكونجرس بمشروعه هذا دون علم، جون آدمز، لتباين آرائهما في كيفية التعامل مع الجزائر، وبعد ميلاد الحلف بأيام قليلة بعث لا فاييت، برسالة الى جورج واشنطن George Washington (1732 ـ 1799)، بتاريخ 22 اكتوبر 1786، جاء فيها : «هناك اختلاف في الرأي بين جيفرسون وآدمز فيما يتعلق بالجزائر، في حين يعتقد آدمز أنه بامكان شراء سلام مع الجزائر، أما جيفرسون فيرى أن محاربتها شيء لابد منه، وأنا أميل الى الرأي الاخير، وأعتقد أنه يمكن إيجاد تحالف بين الولايات المتحدة ونابولي وروما والبندقية والبرتغال وبعض القوى الاخرى، بحيث تدفع كل دولة قسطا من المال ليس بالكثير . . .».

والغريب في هذه الرسالة أن لافاييت نسب فكرة تكوين الحلف الى نفسه ولم يذكر اسم جيفرسون الذي سبقه في الفكرة. كما بعث ـ دائما لافاييت ـ رسائل إلى كل من جون جي وجيمس ماك هنري James Mchenry بتاريخ 28 أكتوبر 1786، يقول فيها : «يمكنكم استخدامي للولايات المتحدة» فوافق جي على تكوين حلف ضد الجزائر.

وقبل الدخول في تفاصيل تكوين هذا الحلف وعرضه على الكونجرس، اريد ان اقدم للقارىء برهانا آخر حول مؤامرات بعض الدول الاوروبية خاصة منها فرنسا التي امرت قنصلها بالجزائر، عرقلة التقارب الجزائري ـ الامريكي، عندما حل المبعوث الفرنسيHerculais سنة 1796 واعطى تعليمات في هذا الشأن الى C.Ph.Valliére . عندما كان جويل بارلوJöel Barlow (24 مارس 1754 ـ 24 ديسمبر 1812) يمثل بلاده في الجزائر وكان يسعى الى الحصول على معاهدات سلام وصداقة مع كل من تونس وطرابلس بتدخل من الجزائر. وبارلو، خريج جامعة يالYale في 9 سبتمبر 1778 .

كان شاعرا وسياسيا وتاجرا، اما في الشعر فقد انتج اول كتاب له سماه (The Prospect of Peace) صدر له سنة 1778 . اما السياسة فقد عمل سفيرا لبلاده بباريس، ومات وهو يؤدي واجبه نحو وطنه سنة 1812 . اما التجارة فقد امتهنها عندما غادر الولايات المتحدة في 25 ماي 1788 . ليعمل وكيلا لشركة Scioto Company بباريس.

ونستخلص مما سبق ان جيفرسون كان يعمل بالتنسيق مع لافاييت وان جيفرسون هو الذي كتب مواد الاتحاد ودار النقاش في الكونجرس حول تكوين الحلف ومساهمة امريكا ماليا وعسكريا في هذا الحلف، حيث نص اقتراح غريسونGrayson على ان يكون نصيب مشاركة الولايات المتحدة الامريكية بفرقاطتين، ومركبين شراعيين، كما ورد في اقتراحه اسماء الدول الاوروبية المكونة للحلف وهي : البانيا، مدن الهانس، صقلية، ساردانية البرتغال، روسيا، توسكان، السويد، الدانمارك، مالطا، البندقية، جنوة، ميلانو، تورينو والامبراطور، غير ان ممثلي نيوجيرسي New Jersey عارضوا هذا الاقتراح، مما دفع الكونجرس بعرضه على التصويت يوم الجمعة 27 جويلية 1787 .

فكان التصويت بالموافقة على الاقتراح بنسبة 16 صوتا مقابل ثلاثة اصوات.

وانقسم الساسة الامريكيون الى مؤيدين ومعارضين حسب تحالفهم وميولهم السياسية إما مع فرنسا او بريطانيا ، ويتكون نص المشروع من 11 نقطة باللغة الانجليزية و 10 بالفرنسية كما حرر نص المشروع بالايطالية الذي لم اعثر عليه حتى كتابة هذه الورقة.

وعين الاميرال جونس بولJones Paul بعد لامب للتفاوض مع الجزائر ، لكنه توفي قبل ان يصله التعيين ، واسندت المهمة للمرة الثالثة الى العقيد دافيد هامفريز
ممثل امريكا في لشبونة وذلك يوم 21 مارس 1793 ، فغادر هذا الاخير لشبونة نحو جبل طارق في 17 سبتمبر من نفس السنة صحبة كاتبه القبطانCutting Nathaniel ، ولما وصلا جبل طارق علما ان الجزائر والبرتغال وقعتا على هدنة ، اذ بموجب هذه الهدنة تنسحب السفن البرتغالية المتمركزة في مضيق جبل طارق ، لتسمح للاسطول الجزائري بالعبور نحو المحيط الاطلسي ، فسارع هامفريز بارسال رسالة الى الرئيس الامريكي جورج واشنطن بتاريخ 17 اكتوبر 1793 يخبره بهذا الخبر ، كما ارسل تعليماته الى السفن الامريكية المتواجدة في موانىء البرتغال يدعوها فيها الى اتخاذ الحيطة والحذر ، وحاول هامفريز الذهاب الى الجزائر ، غير ان الداي رفض استقباله ومنحه تأشيرة الدخول للجزائر، وهذا ما وجدناه في رسالة ثانية الى جورج واشنطن بتاريخ 23 نوفمبر 1793 .

مع العلم ان كل الدول الاوروبية التي لها علاقة بالجزائر ، كانت الاخيرة تصدر جواز سفر وتمنحه لهذه الدول وقد عرف هذا الجواز بـ«جواز سفر البحر المتوسط» . اذ تتفق البلدان جميعا على تصميمه وتوقيعه واصدار عدد محدد من النسخ حتى لا تزوّر وكانت بريطانيا هي السباقة في هذا الميدان اذ اصدرت 40.000 جواز ، يباع كل جواز بثلاث جنيهات استرلينية ، مع دفع 70 دولار على كل جواز يعبر المياه الاقليمية الاسبانية ، وكان بامكان امريكا فرض مثل هذه الضرائب على مثل هذه الجوازات حتى تدفع بها قيمة معاهداتها مع البلدان المغاربية بعد موافقة الهيئة التشريعية طبعا ، وقد حصل تزوير الجوازات البريطانية في نيويوركNew York وواشنطن، مما جعل السفير البريطاني يتدخل لدى الحكومة الامريكية لمنع هذا التزوير.

ويدعى الكثيرون من الاوروبيين والامريكيين الذين كتبوا عن تاريخ منطقة المغرب العربي ان هذه المنطقة كانت تعيش على عائدات عمليات القرصنة الا ان المؤرخ بارنبايBarnby يكذب هذا الادعاء في كتابه، اسرى الجزائر The Prisoners of Algiers.

وامام هذه الصعوبات التي تواجهها التجارة الأمريكية في البحر المتوسط، طالب التجار واصحاب السفن بموانىء الساحل الشرقي للولايات المتحدة (نيويورك ، فيلادلفيا، رودايلاند) الذين يمثلون اللوبي السياسي للادارة الامريكية، باتخاذ اجراءات صارمة لجعل الساحل الجنوبي

الاوروبي في مأمن من الاعتـداءات المغـاربية على سفنهم، فصوت الكونجرس على بناء ست فرقاطات في اسرع وقت ممكن، واقترح الرئيس واشنطن تحصيص مبلغ 800.000 دولار لعقد معاهدات سلام مع البلدان المغاربية على ان يخصص نصفها للجزائر وحدها، وارسلت كتابة الدولة تعلميات مستعجلة الى هامفريز لاجراء مفاوضات مع البلدان المذكورة، خاصة منها الجزائر.

وفي هذا الظرف الحاسم الذي تعيشه التجارة الامريكية في المتوسط، يتولى طوماس جيفرسون منصب كاتب الدولة خلفا لأدمند راندولف Edmond Randolf في 17 سبتمبر 1794، ويتلقى رسـالـة من القنصـل الامـريكي بجبل طارق، يخبره فيها عن استيلاء الجزائر على 13 سفينة امريكية. حاول راندولف القيام بعمل ما بعد ان تلقى رسالة بلاكدن العائد لتوه من اوروبا مع القبطان الدانماركي، هايسل، الذي سبق له وان زار الجزائر وله علاقة طيبة مع دايها، لذلك سعى راندولف اتخاذه كوسيط مع الجزائر، فبعث له برسالة يطلب منه نصيحة في كيفية الاتصال بالجزائر، دون وساطة، فعين هايسل، كقنصل امريكي في الجزائر، واعطاه تعليمات بالاتصال بهامفـريز في لشبونة. فأبحر هايسل من فيلادلفيا الى اوروبا في شهر نوفمبر 1794، وفي هذه الظروف ظهر فجأة غابرييل، الذي عين هو الاخر قنصلا أمريكيا في الجزائر في عهد جيفرسون، غير ان اخباره انقطعت حتى نهاية 1794، وفي نفس الوقت وصل هامفريز الى فيلادلفيا تاركا عمله دون استشـارة كاتب الدولة الذي اغتاض كثيرا لهذا التصرف ولم يستطع معاقبته باعتبار هامفريز من أعز اصدقاء الرئيس واشنطن.

ولـما سمـع هامفريز بتعيين هايسّل، الدانماركي، جن جنونه، وعمل على تعيين هايسل في المغرب واقترح تعيين فليب سلون كقنصل لدى طرابلس لكنه عدل عن الفكرة الاخيرة وفضل ان يصحب سلون كمترجم له لانه يعرف البلاد ولغتها، وظهر في الافق تعيين العقيد (بتيت) في مهمة للجزائر، الا ان الفكرة لم تدم طويلا وعوض بجوزيف دونالدسونJoseph Donaldson

ابحرهامفرير صحبة دونالدسون من فيلادلفيا في 8 افريل 1795، ومعهما فليب سلون، الى اوروبا ثم المغرب العربي، واثناء وصولهم الى اليكانت يوم 17 ماي 1795. سلم هامفريز رسالة اعتماد الى دونالدسون كمفاوض مع الجزائر، وحمله رسالة الى القنصل الفرنسي بالجزائر ليساعده في مهمته بالجزائر، واتجه هامفريز الى فرنسا، اما دونالدسون وسلون فقد وصلا اليكانت يوم 19 جوان 1795.

وهنا نتوقف قليلا لنعرض مطالب الجزائر مقابل اعترافها بأمريكا كدولة مستقلة ذات سيادة، منفصلة عن التاج البريطاني.

اهم هذه المطالب مقابل معاهدة سلام هي : بناء فرقاطتين من نوع 35 مدفعا، دفع مبلغ

مالي للخزينة العامة الجزائرية على ست دفعات (000 . 6 سكوين جزائري في كل دفعة وهو ما يعادل 000 . 080 . 1 دولار مكسيكي ومبلغ 000 . 3 سكوين (000 . 540 دم) وفدية 130 أسير أمريكي بقيمة 000 . 354 دولار بالاضافة الى مبلغ مالي آخر يدفع لكبار المسؤولين، قدر بـ 115 الف دولار ليصبح المبلغ الكلي بـ : 000 . 247 . 2 دم .

وفي باريس، التقى هامفريز بزميل له في الدراسة، هو جويل بارلو، الذي سبق الحديث عنه، عرض عليه فكرة القيام بمهمة الى الجزائر، فقبلها بارلو بلا تردد.

وقد سبق ان عرض هامفريز هذه الفكرة على شريك بارلو، العقيد «هايك بورن ، المتقاعد»، الذي اعتذر لكبر سنه، وعين بارلو لهذه المهمة.

واذا عدنا الى اليكانت وجدنا دونالدسون (50 سنة) قد غادرها نحو الجزائر حيث حل بها يوم الخميس 3 سبتمبر 1795، على الساعة الثانية والنصف زوالا في جو حار جدا، وبدأت المفاوضات صباح يوم الجمعة 4 سبتمبر، وقبل الشروع في المفاوضات أرسل الداي حسّان باشا كاتبه كاثكارت (1 جوان 1767 ـ ـ 6 اكتوبر 1843 ـ)(الاسير الامريكي منذ شهر جويلية 1785) الى دونالدسون ليخبره بمطالب الجزائر، لعقد معاهدة السلام والصداقة مع امريكا الآنفة الذكر.

وكان رد دونالدسون بأنه لديه تعليمات لا يتجاوزها وهي دفع 000 . 543 دولار للسلام وفدية الاسرى، وتنازل الداي عن بعض مطالبه وقدم اقتراحات بدفع 000 . 982 دولار، فرفض دونالدسون للمرة الثانية، عندها اصدر الداي اوامره بمغادرة دونالدنسون الجزائر في صباح اليوم الموالي، واثناء الليل تدخل اوبريان وكاثكارت وسكجولدبراند Skjöld brandt القنصل السويدي في سير المحادثات.

واخيرا توصل الطرفان بعد مفاوضات ووساطات دامت 10 سنوات، انتهت بعقد معاهدة سلام وصداقة بين البلدين، رحبت بها الدوائر السياسية والتجارية الامريكية ترحيبا كبيرا، وظهرت عناوين بارزه في الصفحات الاولى من الصحف الامريكية، تبارك الشعب الامريكي على هذا النجاح العظيم الذي حققته سياسة الجمهورية الجديدة بالاعتماد على امكاناتها دون وساطة الدول الاوروبية التي غالبا ماكانت العقبة الاولى في العلاقات الجزائرية الامريكية، باعتبار امريكا منافسا جديدا وخطيرا في نفس الوقت على التجارة الاوروبية في البحر المتوسط.

أما المعاهدة فكلفت الخزينة الامريكية مبلغ (25، 463، 992) دولار، حسب تقديرات كتابة الدولةللخزينة، وتم التوقيع عليها يوم السبت 21 صفره 1210 هـ . الموافق ليوم 5 سبتمبر 1795 .

وقع المعاهدة عن الجانب الجزائري الداي حسّان باشا وعن الجانب الامريكي جوزيف دونالدسون ويظهر من مختلف الوثائق ان المعاهدة حررت باللغة التركية وليس باللغة العربية، كما يؤكد ذلك الاستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم في كتابه (شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830) ج 1. ص 229 .

وقد اعتمد الاستاذ على نص جريدةClaypoole s American daily Advertiser الصادرة بفيلادلفيا يوم 10 جوان 1796 والتي جاء في صفحاتها الاولى ان المعاهدة حررت باللغة العربية، في اربع نسخ ، نسختان عند توقيع المعاهدة، ونسختان في أول اكتوبر 1795 ، على ان توزع هذه النسخ الاربعة كما يلي : نسخة الى ارشيف الداي ، ونسخة الى كاتب الدولة، ونسخة ثالثة الى الممثل والمفاوض الامريكي بلشبونة، السيد دافيد هامفريز ليوقع عليها، والنسخة الاخيرة تحفظ في ارشيف القنصلية العامة الامريكية بالجزائر.

ونشير الى المعاهدة التي هي موضوع حديثنا، أنها تعد نسخة من معاهدة الجزائر ـ السويد في 5 / 16 افريل 1729 ، والتي جددت في 25 افريل و 5 ماي 1792 ، والتي تحتوى على 22 مادة مثل المعاهدة الحالية، ويذكر بعض المؤرخين ان المعاهدات التي توقعها الجزائر لا تكون نافذة المفعول الا اذا صادق عليها الصدر الاعظم، ونقول نحن بدورنا ان هذا غير صحيح ، فقد ثبت تاريخيا مع كل الدول الاوروبية انه لم ترد كلمة ـ مصادقة الصدد الاعظم ـ اثناء الحديث عن هذه المعاهدات، والا كيف توافق هذه البلدان على ابرام هذه المعاهدات مع دولة ناقصة السيادة.

والملاحظ ان هذه المعاهدات كانت لصالح الجزائر من جميع الوجوه، اذ طلبت الجزائر مثلا من امريكا ان تبني لها سفنا في امريكا، على ان تدفع الجزائر تكاليفها عند استلامها اياها وهذا ما حصل فعلا، مع السفن حسّان باشا، ولالاعائشة، والحمد لله، الهلال، وسكجولدبراند (اسم القنصل السويدي الوسيط بين الجزائر وامريكا) وطلبت الجزائر من امريكا دفع جزية سنوية تقدر بـ 21.600 دولار اي ما يعادل انذاك 800 . 64 فرنك ف . وهدية تتمثل في سفينة (الهلال) ذات 36 مدفع لابنة الداي حسّان باشا. الى جانب هذا تأريخ المعاهدة بالتاريخ الهجري اولا ثم الميلادي، وهذا له دلالته الواضحة في اركان الدولة الجزائرية، مما جعل امريكا تطالب سنة 1815 بالغاء معاهدة 1795 والعمل بمعاهدة 1815 التي تخدم مصالحها، نظرا لضعف الاسطول البحري الجزائري، خاصة الهجوم الذي تعرضت له الجزائر في 27 اوت 1816 فيما بعد من قبل بريطانيا وحلفائها بـ 55 سفينة متنوعة. حطم اثناء هذا الهجوم الاسطول الجزائري والذي مات فيه مايزيد عن 10 الف ضحية من مدنيين وعسكريين

وقد كانت معاهدة 1795 ، فاتحة خير على امريكا في ازدهار تجارتها بالمتوسط وحصولها على اعتراف باستقلالها من تونس وليبيا بفضل وساطة وضمان الجزائر فيهما، بل هناك اكثر من ذلك، اذ دفع الداي مبلغ المعاهدتين من امواله الخاصة، حرصا منه على أمن وسلامة السفن الامريكية في المتوسط والاطلسي، نظرا لاحتياجات الولايات المتحدة المالية لكن امريكا لم ترد بالجميل على ما قدمته لها الجزائر، اذ بادرت باعلان الحرب عليها بعد الحرب الاخيرة مع بريطانيا في 1814 ،

وارسلت قطعتين بحريتين بقيادة ستيفن ديكاتور S.Decatur ، وويليام بينبريدج W.Bainbridge لضرب الجزائر.

وخيرما نختم به هذه الورقة، هو تقديم مقدمة المعاهدة مترجمة عن التركية للترجمة الثانية سنة 1930.

النص : (سبب صياغة معاهدة السلام مع الشعب الامريكي)

«ان سبب صياغة هذه المعاهدة والدافع لتحرير هذه الاتفاقية التي تعود بالخير، هو انه في يوم السبت 21 من شهر صفر لهذه السنة 1210 هـ وقعت مفاوضات من اجل معاهدة سلام بين حاكم وقائد الشعب الامريكي الذين يعيشون في جزيرة تدعى بأمريكا وسط جزر الاوقيانوس وبين مركز الجهاد وحامية الجزائر، وقد عين «جوزيف دونالدسون» لهذا الغرض كسفير، وأكد ما ورد من مواد وفقرات هذه المعاهدة لتعزيز الصداقة المشتركة، والتفاهم الجيد وتمجيد حضرة الوزير النبيل والقائد القوي الجالس على عرش السيادة، القاضي على الطغيان والظلم وحامي البلاد «حسّان باشا» نطلب من الله ان يحقق رغباته، وقد وقع على هذه المعاهدة بخصور كافة اعضاء الديوان وضباط الحامية المنتصرة والجنود والظافرين، بالاضافة الى تعهد تعاقدي ان يدفع لحامية الجزائر 12.000 قطعة ذهبية جزائرية سنويا، ويشترط ان تكون 12.000 قطعة ذهبية هذه مساوية لثمن المعاهدة، ويمكن ان يدفع هذا المبلغ في شكل استيراد مواد لحاميتنا وذار صناعتنا، بارود، رصاص، حديد، كرات صغيرة، رصاصات، قنابل، صواري المراكب، أعمدة المراكب، عوارض الشوارع، الكوابل، قماش الاشرعة، قطران زفت، طاولات، شرائح خشبية، عوارض حديدية، وضروريات اخرى، كما يشترط ان يكون ثمن المواد المطلوبة مفصلا باسعارها حتى يتسنى معرفة ما اذا كانت 12.000 قطعة ذهبية تعادل قيمة المشتريات، وان كانت قيمة المشتريات اكثر فإنه سيدفع لهم الفرق وان بقي جزء من قيمة مبلغنا فسيكملونه حسب وعد وان استولت سفننا الحربية على سفن الامة المشار اليها قبل عقد سلامنا فإن هذه السفن لا ترد بل تبقى من غنائمنا، اما، اذا استولت سفننا الحربية على سفينة من سفنهم بعد ابرام معاهدة السلام فقد اتفق على ان هذه السفن سترد، وسيراجع كل ما سجل في هذه الوثيقة عند الحاجة وهذا طبقا لما يقوم به كل طرف».

وقد كان للجزائر معاهدات عديدة مع كل الدول الاوروبية ، ومنها على سبيل المثال : بريطانيا (18) معاهدة، بين سنة (1682 ـ 1824) هامبورغ (1751) ، هولندا (1753 ، 1760) ، الوسيد (1729) ، 1764 ، 1792) الدنمارك (1772) النمسا (1748) ، اسبانيا (1786) ، روما والمجر وبوهيميا (1748) ، البرتغال (1793 ، 1795 ، 1810) ، صقلية (1816) أما فرنسا فتزيد عن 100 معاهدة.

وكان التوقيع على المعاهدات يختلف من بلد لآخر في بلدان المغرب العربي وذلك حسب استقرار الوضع الداخلي وقوة الحاكم الى جانب الهيئة الاستشارية المتمثلة في الديوان بالجزائر.

فالجزائر يوقع معاهداتها الداي فقط ، في حين يوقعها في تونس الباي ووزيرين آخرين اما في طرابلس فقد وجد في معاهدة (1796) مع الولايات المتحدة 11 توقيعا ، وفي مسقط (عُمان) 1833) وقع عنها السلطان فقط . كما اختلف في تسمية مواد المعاهدة، فتسمى الشرط في كل من تونس والمغرب، وبالشرط مرة والفصل ثانية في الجزائر وطرابلس.

وخلال قراءاتي حول المعاهدة الجزائرية، الامريكية (1795) استوقفني (كتاب علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك اوروبا 1500 / 1830) للدكتور يحي بوعزيز، استاذ مادة التاريخ الحديث، بجامعة وهران. ذكر ان هناك معاهدة جزائرية امريكية وقعت سنة 1805 ، مشيرا في الهامش انه وجد نص المعاهدة في ملخص خاص من مطبوعات حزب الشعب الجزائري ، وهو رأي في اعتقادنا تنقصه الادلة، ففي حدود علمي، وبناء على الوثائق والمصادر الاميركية لا توجد الا ثلاث معاهدات بين الجزائر والولايات المتحدة هي معاهدات (1795 ، 1815 ، 1816) .

وكانت الجزائر وفية بعهدها منجزة لوعدها الذي اكسبها مكانة دولية ويتضح هذا في المادة الاولى من معاهدة طرابلس (1797) التي جاء فيها : «الحمد لله ، بيان ذلك من الشرط الاول على انه اتفقنا صلحا تاما صحيحا دائما لا تبديل فيه ولا تغيير اولا وآخرا على الدوام مع المركان سيدنا المحترم السيد يوسف باشا بمحروسة طرابلس ايده الله وديوانه كذلك والذي فعلناه بيننا بقلب صاف من جانبنا ومن جانبهم وهذا الصلح مفضوض ومفصل على يد سيدنا ومولانا المحترم المعظم مولانا الدولاتني السيد حسان باشا بحمية الجزائر ايده الله امين».

وتنص المادة الثانية عشر على مايلي :

«الحمد لله ، بيان الشرط الثاني عشر : فحين يكون تخليصا بيننا من جهتين وتكون خصومة كبيرة ، ويكون القونصل المركان لايقدر يصفي امره ويبقى الامر متوقف من بين اثنين ما بين باشا طرابلس ايده الله والمركان حتى يعلم السيد حسن باشا ايده الله بمحروسة الجزائر فاننا قابلين بما شرط علينا وإننا موافقين على شروطه وطابعه فالله يجعلها محبة على الدوام وعافية خير بيننا اولا واخرا بمنه وكرمه امين» .

والآن وقد عرفنا كيف بدأت المفاوضات الجزائرية ـ الامريكية ، ابتداء من سنة 1786 حتى 1795 ، التي توجت باعتراف الجزائر باستقلال امريكا في ديسمبر 1795 .

وتم التمثيل القنصلي من جانب واحد (امريكا) ، التي ارسلت السيد جويل بارلو ، الأديب والسياسي والكاتب الذي مثل امريكا احسن تمثيل ، فكانت له علاقة جد طيبة مع الداي حسّان باشا الذي لقبه بعميد القناصل في الجزائر ، رغم الفترة الوجيزة التي اقامها في الجزائر (من 4 مارس 1796 الى 18 جويلية 1797) .

وفي الختام اشير ان سبب فشل المفاوضات تعود اساسا الى :

1 ـ الوضع المالي الذي كانت تعيشه الولايات المتحدة بعد استقلالها ، مما جعلها تلجأ الى الاقتراض من صديقها وعدوها فرنسا ثم هولندا .

2 ـ عدم كفاءة المفاوضين الامركيين الموفدين والذين كانوا دون المستوى المطلوب باستثناء البعض منهم .

3 ـ تعيين اجانب كممثلين لامريكا والذين لا يهمهم امر امريكا بقدر ما يهمهم جمع الاموال .

4 ـ اختلاف الرأي بين جونّ آدمز وطوماس جيفرسون في معالجة قضية الاسرى والاتصال المباشر مع الجزائر.

5 ـ ثقة المفاوضين الامريكيين في كل من باريس ولندن في مساعى فرنسا وبريطانيا لصالحهم ، الا ان الأحداث اثبتت عكس ذلك .

6 ـ عدم اهتمام الكونجراس بالاسرى باستثناء الرئيس واشنطن .

7 ـ ضعف سلطة الحكومة الفدرالية في فرض سلطتها .

■ النص الاصلى بالعربية للمادتين 1 و 12 . من معاهدة طرابلس ـ الولايات المتحدة سنة 1797 .

BIBLIOGRAPHY

1) Adams, Henry. History of the United States (New York), 1890-1891). Vol. VI, VII, VIII.

2) Adams,john Quincy, Memoirs, (Philadelphia, 1874-1877), Vols. VI,VII.

3) American State Papers. Foreign Relations, (Washington, 1834).Vols. I, II, X.

4) Army and Navy chronicle, (Washington, 1837,1838),VOLs. IV, V.

5) The Barlow Papers, Houghton Library, Harvard.

6) Broughton, E., Six Years's Residence in Algiers, London, 1839.

7) Cathcart, J.L., The Captives, (compiled by his daughter, J.B., Newkirk), Indiana, 1899.

8) Charles-Roux, Fr., Les travaux d'herculais, Paris, (1928).

9) Claypoole's Amàerican Daily Advertiser, (Philadelphia), 10
une, 1796.

10) Cooper J.F., History of the Navy of the United States of America, (New York, 1866).

11) ——— Lives of Distinguished American Naval Officers, (Philadelphia, 1846). 2 Vols.

12) Cowdery, Jonathan. American Captives in Tripoli, (Boston, 1806).

13) Devoulx-Albert, les archives du consulat général de France à Alger, (1865).

14) Emile, Dupuy. Etudes d'histoire d'Amérique-Américains et Barbaresques, (1776-1824), Paris, 1910.

15) Federal Gazette and Baltimore Daily Advertiser, 1795-1814.

16) Foss, John. A Journal of captivity in Algiers, NewburyPort, 1798.

17) Goldsborough, C.W. An Original and Correct list of the United States Naval Chronicle, (Washington, 1800).

18) ——— The United States Naval Chronicle, (Washington, 1824).

19) Hidey, R.W. The House of Baring in American Trade and finance, Harvard, 1949.

20) Irwin, R.W. The Diplomatic Relations of The United States With The Barbary powers, 1776-1816, North 1931.

21) James, William. The Naval History of Great Britain from The Declaration of war by france in 1793 to the Accession of George IV (London, 1847). Vol. VI.
22) Mackenzie A.S. Life of Stephen Decatur (Boston, 1846).

23) Massachusetts Historical Society Proceedings, (Boston, 1816-1827).

24) Masson, Paul., Histoire des Etablissements et du commerce francais dans l'Afrique.barbaresque (1560-1793), Paris, 1903.

25) Nettement, Alfred. Histoire de la Conquete d'Alger, Paris, 1856.

26) New York Evening Post, 1806-1814.

27) Pananti Filippo. Narvative of Residence in Algiers, (London, 1818).

28) Playfair, R.L., Bibliography of Barbry states 2 Vols., London, (1888-1898).

29) ———The Scourge of christendom, (London, 1884).

30) Prentiss, Charles. Life of the Late General William Eaton (Brookfield, 1813).

31) Richardson, J.D. A compilation of the Messages and Papers of the Presidents, (Washington, 1896). Vol. I.

32) Rodgers, R.S. Closing Events of the War with Tripoli in the Proceedings of the U.S.N. Institute, (Annapolis, 1908). Vol. XXXIV PP. 889-916.

33) Shaler, William.The Sketches of Algiers, (Boston, 1826).

34) Spencer, Williaml. Algiers in the Age of the Corsairs, U.S.A. (Norman, 1976).